حصن إسلامي مكتشف بموقع دادان الأثري

د. محمد بن عائل الذيبي

أستاذ مساعد - قسم الآثار - كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود

حصن إسلامي مكتشف بموقع دادان الأثري

د. محمد بن عائل الذيبي

أستاذ مساعد - قسم الآثار - كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود

الموقع:

تقع دادان (الخريبة) بوادي العلا إلى الشمال الشرقي من العلا القديمة بما يربو عن ٣ كم تقريباً[١]، على خط الطول ٣٧َ ٥٥ً ٥٨، ودرجة العرض ٢٦َ ٣٦ [٢]٢٩، وإلى الشمال منه موقع تل الكثيب وخيف الزهرة (شكل:١)[٣]، ويضم الموقع بالإضافة إلى مدينة دادان العائدة إلى مملكة دادان ومملكة لحيان[٤]، الحصن الإسلامي، موضوع الدراسة الذي يقع إلى الشمال من الموقع القديم بمحاذاة جبل خريبة دادان، وعلى طرف وادي العلا في زاوية التقائه بوادي المعتدل ووادي أبو عود (شكل: ٢)[٥].

كانت دادان إحدى المراكز السياسية والحضارية والتجارية المهمة في شمال غرب الجزيرة العربية، لكل من الدادانيين واللحيانيين والمعينيين، وهي ذات موقع استراتيجي مهم، حيث تقع على الطريق التجاري الذي يربط جنوب الجزيرة العربية ببلاد مصر والشام وبلاد الرافدين،كما أنها من المدن المهمة الواقعة على وادي القرى؛ ذلك الوادي

(١) نصيف، عبدالله، العلا: دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي (الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص ٧.

(٢) الانصاري، عبدالرحمن الطيب، حسين بن علي أبو الحسن، العلا ومدائن صالح (الحجر): حضارة مدينتين (الرياض: دار القوافل للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ١١؛ مؤسسة تبراك للمقاولات، المناطق الأثرية بالعلا ومدائن صاالح «الكتب السياحية» (الرياض: وزارة المعارف، الإدارة العامة للآثار والمتاحف)، ص ١٢.

(٣) بودن، جارث، موقع خيف الزهرة وطبيعة السيادة الدادانية بواحة العلا، أطلال، ع٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٧٤-٨٤.

(٤) السعيد، سعيد وآخرون، دادان الموسم الأول ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، «نتائج التنقيبات الأثرية بجامعة الملك سعود»، أطلال، ع ٢٠، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٧.

(٥) الذياب، سعود، «صنجة أموية من موقع دادان (الخريبة) محافظة العلا»، دول ومجلس التعاون عبر العصور، تحرير أ.د. أحمد الزيلعي وآخرون، (الرياض: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ١٤٣٢هـ)، ع ١١، ص ١٦٣.

الشهير على مر العصور التاريخية وحتى الوقت الحاضر[١].

وتعد دادان من المناطق الحضارية في الجزيرة العربية حيث أثبتت المصادر الأثرية والتاريخية أن لها تاريخاً عريقاً، يمتد من فترة القرن السادس قبل الميلاد أو قبل ذلك التاريخ وحتى فترة العصور الإسلامية المتأخرة[٢].

وصف الحصن:

خلال المسح الأثري للموقع ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م أمكن التعرف إلى المنطقة الثانية[٣] من المخطط الشبكي العام لحفرية دادان على منشأة معمارية، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ٤٩م تقريباً، ومن الشمال إلى الجنوب ٤٣,٧٠م تقريباً، كما يبلغ سمك جدار السور بها ٨٦سم تقريباً. ويحيط بأركانه أربعة أبراج تشكل ثلاثة أرباع الدائرة، على كل ضلع منها برجان كل واحد منهما نصف دائري، ما عدا الضلع الجنوبي فيتوسط الضلع ما بين البرجين بناء مربع اتضح أنه مدخل الحصن، ويتضح من خلال بقايا الجدران وجود ساحة تتوسط البناء، وتحيط به المرافق المكوِّنة للحصن (اللوحة ١: ب).

استمرت أعمال التنقيب الأثري في المنطقة الثانية لمدة أربعة مواسم، وكانت

(١) الانصاري وأبو الحسن، العلا ومدائن صالح (الحجر): حضارة مدينتين، ص ١١؛ بودن، موقع خيف الزهرة وطبيعة السيادة الدادانية بواحة العلا، أطلال، ع٣، ص ٧٥؛ نصيف، العلا: دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، ص ٧؛
Albright, W.F., «Dedan» in Geschichte und Altes Testement Albrecht Alt Festchrift (Tubengen, 1953), p. 1; Doughty, C., Travels In Arabia Deserta, vol. 1 (London, 1926), p. 145; Tarn, W., «Ptolemy II and Arabia» in The Journal of Egyptian Archaeology, vol. 15(1929), pp. 17-20;
Saleh, Abdel-Aziz., Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian Style, Bull, of the Faculty of Arts, Cairo University, 28, 1970, pp. 1-31.

(٢) الأنصاري، العلا ومدائن صالح (الحجر): حضارة مدينتين، ص ١٢؛ ؛ نصيف، العلا: دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، ص ١١-٢٤؛ كاسكل، ف، «لحيان المملكة العربية القديمة»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك البصرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ترجمة: منذر البكر، ص ١٧٥-١٨٠؛ صالح، عبدالعزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ط٣، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٨م)، ص ١٤٣-١٤٩؛ بودن، موقع خيف الزهرة وطبيعة السيادة الدادانية بواحة العلا، أطلال، ع٣، ص ٧٤؛
Winnett, F.V. and Reed, W. L., Ancient Records from North Arabia (Toronto, 1970), pp. 113-114, 39, 117-119, 176-178; Albright, «Dedan» in Geschichte und Altes Testement Albrecht Alt Festchrift, pp. 3, 6-9; Nasif, Abdallah, AL- ULA: An Historical and Archaeological Survey With Special Reference to Its Irrigation System (1408-1988), p. 3-11.

(٣) مصطلح لتوزيع وتقسيم الموقع حسب التلال الاثرية أو المقابر والنقوش على سفح جبل دادان (الخريبة).

بداية العمل في الموسم الرابع ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م (المربع Q.7 لوحة رقم (٥) من شبكة الموقع) وذلك بعمل مجس اختباري لمعرفة ماهية الدور الوظيفي لمنشآت الموقع المجاور للمنطقة الأولى، والتي تمثل المركز الديني، وكذلك المجاورة لحوض الماء المعروف باسم محلب الناقة والمنطقة السكنية، والتي اعتبرت المركز الرئيس للموقع. وفي الموسم السادس ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م أجريت أعمال التنقيب بحفر (المربع P.6، Q.6-7)، وفي الموسم السابع ١٤٣١هـ/٢٠١٠م استمرت أعمال الحفريات الميدانية بالتنقيب في المربع (O.5-6، Q.5،P.5)، وفي الموسم الثامن ١٤٣٢هـ/٢٠١١م تمثلت أعمال التنقيب في الجهة الغربية من داخل الحصن وخارجه (المربع O.6، O.7).

كان الهدف من أعمال التنقيب في المنطقة الثانية معرفة طبيعة الموقع وما إذا كان امتداداً للمنطقة الأولى، أم أن له ارتباطاً بالملتقطات السطحية التي جُمعت في الموسم الأول والتي يعود تاريخها إلى الفترة الإسلامية المبكرة.

كما تضمنت أهداف التنقيب في المنطقة الثانية مجموعة من التساؤلات منها:

- تتبع أو معرفة التسلسل الطبقي لأعمال التنقيب الأثري في المنطقة الثانية وربطها بالمنطقة الأولى.
- الكشف عن مادة أثرية جديدة، ومدى تطابقها أو اختلافها عمّا تم العثور عليه في المنطقة الأولى.
- محاولة تصور لهوية البناء الموجود في هذه المنطقة، حيث أن وحداته المعمارية شبه واضحة من خلال ما هو ظاهر، وما تبقى من آثار للجدران، والسور والأبراج.
- المساهمة في الكشف عن التسلسل الطبقي والمراحل الاستيطانية لموقع دادان «الخريبة» والتي شكلت أهم أهداف العمل في هذه المنطقة.

المنطقة الثانية:

تشغل المنطقة الثانية (المربعات O.5-6،P.5-7،Q.5-7) لوحة رقم ٥) الجزء

الشمالي للموقع، وعلى يمين الداخل للموقع من الجهة الشمالية (بوابة الموقع في السور(اللوحة ١: أ). وقد أُختيرت هذه المنطقة بالتحديد نظراً لوجود بعض أساسات السور والجدران، وبعض التراكمات الحجرية المتساقطة والمتناثرة على سطح الموقع، والتي تعطي تخطيطاً لبعض الوحدات المعمارية، التي حددت في أثناء المسح في الموسم الأول بالمنطقة الثانية. ووجود فاصل بينها وبين المنطقة الأولى، مما يرجح وجود بناء مستقل يحتاج إلى معرفة هويته وطبيعته. وذلك مما شجع على عمل مجس اختباري لتحديد وظيفته.

مواد البناء:

استخدمت في بناء الحصن المواد التالية:

الأحجار:

الحجارة المستخدمة في بناء هذا الحصن جرى قطعها وتهذيبها واستخدامها بشكل جيد في بناء الجدران والدكات والدعامات. ويلحظ على هذه الحجارة أنها متباينة في أحجامها حيث تتراوح ما بين ٢٠-٢٥سم تقريباً، وارتفاعها من ٩-١٤سم تقريباً، كما يلحظ على بعض الحجارة الأخرى المستخدمة في الدكات والدعامات والتي بلغ طولها ما بين ٢٥- ٣٠سم تقريباً، أن واجهاتها خشنة كنوع من الزخرفة، وقد جلبت من المباني القديمة لموقع دادان (المنطقة الأولى)، واستعملت الأحجار الكبيرة في جدار كتف المدخل، كما استخدمت أيضاً لعمل عتبات المدخل سواء في الغرفة أو في المدخل الرئيس للحص بأحجام مختلفة.

الطين:

أستخدم الطين مونة في البناء، مضاف إليه الجير والحصى الصغير الناعم، لكي يعمل على تقويته وتماسكه وعدم ذوبانه حين تعرضه للأمطار.

الطوب اللبن:

استعمل الطوب المشوي (اللبن) في البناء في فترة لاحقة وإنما على هيئة حشوة داخل الجدار، حيث استخدم في بناء السور في الجناح الشرقي، وفي جدار البوابة، وقد كُسي بصف من الحجارة.

الوصف المعماري:

كشفت أعمال التنقيب في المربعين (P.7،Q.7) وحدة معمارية مستطيلة الشكل تتقدم مدخل الحصن، مساحتها ٦×٤,٤٠م تقريباً. ويتضح من طريقة بنائها أنها تشكل عنصراً معمارياً مضافاً إلى المبنى في فترة لاحقة، وهي عبارة عن غرفة يقع مدخلها في الجهة الغربية، ربما تشكل استراحة، يبلغ عرض المدخل ١,٤٥م تقريباً، ويرتكز بناء الكتف على السور، وعمل لها عتبة للمدخل ترتفع تقريباً ١٠سم عن العتبة الخارجية، والمكونة من بلاطات أحجامها مختلفة، تبلغ أبعاد أكبرها ٨٤×٤٥سم تقريباً. شيد الجدار من مداميك من الحجارة المقطوعة والخشنة المنتظمة الشكل، يصل ارتفاع بعضها إلى ٩-١٤سم تقريباً، بنيت من صفين من الحجر، حشي ما بينهما بكسر من الحجارة والمونة الطينية.

أما أساس الجدار فهو عبارة عن صف واحد من الحجارة بُني على الأرضية الصخرية. ونُحت في كتفي المدخل فجوتان مستطيلتان متقابلتان مما يشير إلى نظام إحكام إغلاق البوابة.

أما الجدار الشرقي فقد بنيت واجهته الداخلية متعامدة على سور المبني، والواجهة الخارجية على امتداد الجدار الداخلي، فمن المحتمل عند فتح البوابة قد تم استكمال بناء الجدار أو أن طرف السور قد انهار وتم بناء الجدار، خاصة أن في هذا الجزء قد استعيض في بناء السور بالطوب اللبن وكسي بالحجارة. وقد شيد الجدار من مداميك من الحجارة المعاد استخدامها، حيث يوجد عليها بعض العناصر المعمارية

من الفترة القديمة (دادان ـ لحيان)، وهي منتظمة، ويصل ارتفاع بعضها إلى ٩-١٤سم تقريباً، كما تقدم ذكره، حيث بُنيت من صفين من الحجر، وحشي ما بينهما بكسر من الحجارة والمونة الطينية.

وكذالك الجدار الجنوبي والذي لم يكشف عن واجهته الخارجية، إلا أن الواجهة الداخلية وأيضا طرفه العلوي يشير إلى أن أسلوب بنائه متماثل مع الجدارين الشرقي والغربي، وأن طرفيه متصلين مع طرفي الجدارين الشرقي والغربي.

السور:

كشف في الجهة الشمالية عن جدار يعتقد أنه يمثل سور الحصن، محوره باتجاه شمال-غرب ٤٣,٧٠م تقريباً، وجنوب - شرق ٤٩م تقريباً. بني السور من صفين من الحجارة المقطوعة والمشذبة، وقد شُيد من مداميك من الحجارة المعاد استعمالها من الفترة القديمة (دادان ـ لحيان) المنتظمة. ويبلغ ارتفاع بعضها إلى ٩-١٤سم تقريباً، وحشي ما بينهما بكسر من الحجارة والمونة الطينية. ويظهر جلياً في الجزء المكتشف في الجناح الغربي (P.6)، ويلحظ على الجدار انبعاج في الواجهة الداخلية للسور. أما الجناح الشرقي فمن المحتمل سقوط جزء من جدار السور، بعد سقوطه، وبني بالطوب اللبن، وكسيت الواجهة بصف من المداميك الحجرية (Q.6).

تقع في وسط السور تقريباً البوابة المكتشفة: وهي مكونة من جزأين؛ الجزء الأمامي الواجهة، والجزء الخلفي مرتبط بنظام إغلاق وإحكام التحصين. ويبلغ سمك جدار البوابة حوالي ١,٣٠م تقريباً، واتساع عرض فتحة البوابة ١,٠٥م تقريباً، وتنتهي في أسفلها بعتبة حجرية مستوية مكونة من بلاطات حجرية مختلفة الأحجام مقطوعة ومصقولة بشكل جيد، وهي مختلفة في تركيباتها الجيولوجية، فبعضها من الحجارة الرملية الجيرية الرسوبية التي استخدمت في بناء منشآت المنطقة الأولى، والتي ربما جلبت من هناك أو من مقلع جبل الخريبة، وبعضها الآخر من الحجارة البركانية السوداء

والتي من المحتمل أنها قد جلبت من منطقة قريبة من وادي أبو عود أو من الحجارة المتناثرة أسفل الحرة. كما أن أبعاد البلاطات متباينة، فيبلغ أبعاد بعضها ٧٠×٣٠سم تقريباً، أو ٦٠×٤٠سم تقريباً. أما الصغير منها فبلغت أبعاده ما بين ١٥×١٠سم تقريباً، أو١٠×١٠سم تقريباً.

أما الجزء الداخلي من المدخل فقد اختلفت البلاطات لتصل مساحة أصغرها إلى ١٥×١٠سم تقريباً. ويوجد تجويف مربع بمساحة ١٠×١٠سم تقريباً في إحدى البلاطات الملاصقة لكتف البوابة عند حافة العتبة من الداخل. ومن المؤكد أن هذا التجويف استخدم مكاناً لمحور الباب.

وقد أمكن عمل مجس في الزاوية الشمالية الغربية من الغرفة (الزاوية الجنوبية الشرقية من المربع P.6) بجوار السور والكتف الشمالي لبوابة المدخل، حيث أظهر أساس جدار السور الذي بني من ثلاثة مداميك حجرية مختلفة السماكة، صُف أسفلها على أرضية طينية وقعت فوق طبقة (الأرضية البكر)، تبرز عن الجدار بمقدار ٢٠سم تقريباً، عند أسفل عتبة البوابة وبمقدار ٥سم تقريباً عند الزاوية الشمالية الغربية من المجس. كما أن طريقة بناء الجدار تُظهر أسلوبين معماريين مختلفين، الأول أن الجدار بني في جزئه السفلي بمداميك من الحجارة شبه المنتظمة في أحجامها، كما هو موجود في الجناح الغربي من السور. والثاني أن الجزء العلوي اختلفت الحجارة في أشكالها وأحجامها، ومنها ما يلحظ على بعضها من أنها طويلة وارتفاعها متباين، لذا فقد جاء الجزء العلوي من المداميك الحجرية غير منتظم ومتداخل بعضه البعض. ويظهر أن واجهة الجدار جاءت متناسقة ومستقيمة. كما يلحظ على بناء الجدار أنه كلما أخذ في الارتفاع يظهر عليه البروز من داخل البوابة، وهذا يظهر واضحاً في المداميك العلوية.

وقد كان الغرض من ذلك الأسلوب في البناء عمل قاعدة القوس الذي يعلو البوابة. كما أن الحجارة التي بني بها الجدار في الجزء العلوي جاءت مقطوعة ومصقولة

بشكل جيد، ومن المحتمل أنها تعود للمباني القديمة، حيث اختيرت الحجارة الكبيرة الحجم لبناء الواجهة لتعطي قوة وتتحمل عمل الأقواس (ويصل طول بعضها تقريباً إلى ٨٥ × ٢٥سمً).

أما الجزء الخلفي، فمرتبط بنظام إغلاق وإحكام التحصين (يوجد له مماثل في القلعة الإسلامية بالقرب من محطة سكة حديد العلا في موقع الحجر)، فقد بني بشكل دعامتين؛ الدعامة الشرقية مربعة الشكل، والدعامة الغربية مستطيلة بعرض الجدار، وفي كلتا الدعامتين يوجد تجويفان، هما عبارة عن حفرتين متقابلتين؛ الغربية عميقة لعلها عملت لكي ينزلق فيها خشبة الضبة (المزلاج).

إن ما كشف عنه في المربعات (P.5-6، Q.5-6) (Q.5، عبارة عن ردهة تمثل مدخلاً مستطيل الشكل يطل على ساحة الحصن المكشوفة، فالجدار الشرقي والجدار الغربي تم بناؤهما بنفس طريقة السور، وبنفس السماكة ٨٦ سم تقريباً، وعلى جانبي المدخل عملت دعامتان ملتصقتان على الجدار الشرقي، ويقابلهما دعامتان على الجدار الغربي، فمن الناحية المعمارية تدل على بناء عقدين كبيرين، رفع فوقهم السقف، ومما يؤيد ذلك وجود كمية كبيرة من طبقة الرماد والأخشاب التي استخدمت لبناء السقف، والتي ربما نتجت عن حريق قد أصاب الحصن (وهي استمرار لما كشف عنه في حجرة المدخل المنكسر، وكذلك في الجزء الغربي في المربعين P.5،P.6)، وعلى جانبي المدخل توجد جلستان (دكتان) متقابلتان وملاصقتان للجدارين الشرقي والغربي ربما قد استخدمت لجلوس الحراس.

وفي مرحلة متأخرة عملت جلسة (دكة) عريضة، تقسم المدخل في الجهة الغربية منه. كما أغلق الجزء الغربي من المدخل المطل على الساحة، وعمل للجزء الشرقي مدخل من حجارة مصقولة مزدوجة أصبحت ملساء من كثرة الاستخدام (اللوحة ٢: أ، ب).

أما في المربعات (O.5-7، Q.5، P.5-7) والتي تمثل الجناح الغربي من

الحصن، فقد بني بها جدار متجه من الشرق إلى الغرب يتعامد على الطرف الشمالي. وشيد الجدار الغربي كحد للغرفة الكبيرة المقسمة من الداخل إلى ثلاثة مرافق، كما يلحظ أن الجدار الفاصل بين المرفقين المجاورين للسور بني على الأرضية الطينية المتأخرة (اللوحة ٢ :ب)، (اللوحة ٣: أ، ب).

أما في المربع (O.7) فقد كشف عن برج نصف دائري، يميل في شكله إلى شكل حذوة الحصان (ثلاثة أرباع الدائرة)، وقد بني مع بناء السور من الخارج، مكون من جدار من أحجارة مترابطة بالمونة، ومحشي من الداخل بحجارة صغيرة غير مشذبة (اللوحة ٤: أ، ب).

تحليل الطبقات (التسلسل الطبقي):

طبقات (الغرفة) المربعات (P.5-7، Q.5-7):

طبقة الرديم الأولى؛ عبارة عن فرشة تقع على الأرضية البكر، وهي مكونة من التربة الطينية المفككة، عُثر فيها على كسر من فخار الخريبة (دادان)، القريب الشبه مع ما عثر عليه في المنطقة الأولى. ويعلو طبقة الفرشة أرضية من الطين المدكوك والمتماسك والتي تشكل أرضية الغرفة. كما يعلو الأرضية طبقة من الرديم المفكك عثر فيها على جزء من صنجة من الزجاج (باسم عبيدالله بن الحبحاب. يعود للفترة الأموية، بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي). والطبقات مشكلة من رديم وأنقاض حجارة المباني المتساقطة والمختلطة بالتربة الطينية، وتخللها طبقتان من الرماد، ومواد أخرى متفحمة تغطي الغرفة وردهة المدخل (P.5-7، Q.5-7)، أي أنها تمتد على كافة مساحة الغرفة وردهة المبنى.

أما طبقة الحريق والرماد الأولى في الغرفة (P.6،7-Q.6،7) فهي تعلو الأرضية بوضوح، وأيضاً تعلو طبقة الرديم الطينية للحجرة، وهي سميكة وفي مستوى حافة عتبة البوابة، كما أن هذه الطبقة توازي طبقة الحريق داخل الردهة (المدخل) والتي

وجدت على الأرضية.

وأما طبقة الحريق الثانية التي تخللت طبقة الرديم فمستواها يصل إلى حدود ما يقارب المتر في الارتفاع عن الأرضية، وهي تعلو البوابة، وتتخلّل هذه الطبقة مواد متفحمة مكونة من أغصان وجذوع الأشجار ومن سعف النخيل.

ويغطى سطح الموقع طبقة التربة الطينية الرمادية المفككة، وغير المتماسكة وأيضاً الرمال الصحراوية وبعض الحجارة ذات الأشكال والأحجام المختلفة، كما تحتوي الطبقة السطحية على كسر فخارية تمثل الفترات الاستيطانية المختلفة لموقع الخريبة «دادان»، إضافة إلى الفخار العائد للفترة العباسية والفاطمية.

طبقات المربعات (O.5-6، Q.5،P.5):

الأرضية: تم الكشف عن أرضية مدكوكة من التربة الطينية المتماسكة في الغرفتين اللتين في الجناح الغربي، وهما مفصولتين بجدار. يليها طبقة من المخلفات العضوية من بينها مخلفات الأغنام، وجدت في الغرفة الغربية. يعلوها طبقة من الرديم المكون من التربة الطينية المختلطة بالحجارة المكونة لجدران المباني والسور. أما طبقة السطح فتتكون من التربة الطينية الرمادية المفككة، وغير المتماسكة، وكذالك من الرمال الصحراوية والحجارة مختلفة الأشكال والأحجام، كما احتوت الطبقة السطحية على كسر فخارية.

تاريخ الموقع:

من خلال المعثورات يمكن إعادة تأريخ البناء إلى مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي في العصر الأموية مع احتمالية استمرار استخدامه خلال الفترة العباسية إلى الفاطمية من القرن الثالث إلى الخامس الهجري/ التاسع إلى الحادي عشر الميلادي، ويعزز استخدام هذا البناء في العصر الأموي العثور على تلك الصنجة

الزجاجية العائدة إلى عهد الوالي عبيدالله بن الحبحاب[١]، أي إلى مطلع القرن الثاني الهجري إذ يرجح الدكتور سعود الذياب تأريخ الصنجة فيما بين عامي ١٠٥، ١٠٦هـ[٢]، ولعل وجود هذه القطعة عند مدخل الحصن يشير إلى أن هذا الحصن كان مبنياً خلال الفترة الأموية.

أما المعثورات الفخارية التي عثر عليها في الطبقات العليا من الموقع فيُقَدّر أنها تعود إلى القرن ٣-٥ الهجري/ ٩-١٠ الميلادي[٣]، وهي مشابهة لما عثر عليه في موقع المابيات الواقعة على بعد حوالي عشرة كيلو إلى الجنوب من موقع هذا الحصن المهم[٤].

الاستنتاج:

يتضح مما سبق إلى أن الظواهر المعمارية السطحية المنتشرة في الموقع تشير إلى وجود مبنى مستطيل الشكل تقريباً. ويحيط به سور عرضه يبلغ ٨٦ سم تقريباً (بناءً على ما تم الكشف عنه)، ويظهر امتداد هذا الجدار (السور) في أكثر من جزء أسفل طبقة السطح.

ويوجد للمبني أربعة أبراج في الأركان الأربعة اسطوانية الشكل (ثلاثة أرباع الدائرة)، وعلى كل ضلع من الأضلاع برجان نصف اسطوانيين (نصف دائريين)، ومن المحتمل وجود بوابة ثانية تشكل المدخل الرئيس للمبنى، عدا البوابة التي تم الكشف عنها في المربعات (P.7،Q.7)، والتي تعتبر صغيرة نسبياً، كما لا تخدم هذه البوابة دخول الدواب إلى داخل الحصن.

(١) الذياب، صنجة أموية، ص ١٦٦.

(٢) الذياب، صنجة أموية، ص ١٧١.

(٣) تم نشر بعض الكسر الفخارية المكتشفة اثناء المسح على سطح الموقع في أطلال، لمزيد من التفاصيل أنظر: السعيد وآخرون، دادان الموسم الأول ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، «نتائج التنقيبات الأثرية بجامعة الملك سعود»، أطلال، ع ٢٠، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٧.

(٤) العمير، عبدالله وآخرون، «تقرير عن أعمال حفرية مدينة قرح (المابيات) الإسلامية بالعلا الموسم الأول لعام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م»، أطلال، ع١٩، (الرياض: وكالة الآثار والمتاحف وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ص ٢١٧-٢٥٣.

كما تشير الدلائل السطحية في الجزء الداخلي الشرقي الذي يقع داخل السور إلى تراكمات حجرية وتخطيط معماري للجدران أكثر مما حواه الجزء الغربي، ما عدا بعض أساسات الجدران عند السور الشمالي والجنوبي في النصف الغربي. وتقود هذه المشاهدة السطحية إلى أن الوحدات المعمارية التي يضمها المبنى وقعت في الجزء الشرقي، بينما يشكل وسط الجزء الغربي الساحة المكشوفة الرئيسة له والتي تبدأ من أمام المدخل المكتشف.

كما يشكل الجزء المكتشف من المبنى ما هو معروف باسم المدخل المنكسرة أو المدخل الجانبي، حيث يكون الدخول إلى المبنى من خلال بوابة عريضة تؤدي إلى حجرة جانبية تقع أمام المبنى ربما تكون غرفة استقبال في الظروف العادية، أو غرفة حراسة تعيق المهاجم وتستخدم في أثناء الدفاع عن المبنى من خلال موقعها الذي يواجه البوابة الضيقة والتي تشكل مانعاً من الوصول إلى ساحة المبنى الداخلية (اللوحة ٥ : أ).

ومن المحتمل أن هذا التخطيط شاع في عمارة مباني الحصون التي انتشرت في فترات مختلفة خاصة في العمارة الإسلامية، حيث وجد في محطات طريق الحج الكوفي مشابهة لها في التخطيط في موقع حصن[١]، وفي موقع أم الضميران[٢].

ويغلب على الظن أن طبقة الرماد المكتشف على الأرضية في الغرفة والردهة تشير وتدعم الاعتقاد بأن حريقاً قد تعرض له المبنى، مما أدى إلى سقوط السقف على الأرضية. ويشكل هذا الحريق غالباً السبب وراء تدمير أو هجران المبنى ولا نعرف ما إذا كان هذا الحريق نتيجة غزو أو هجوم شن على الحصن من عدو غازٍ أم أنه حريق طبيعي أتى على سقف المبنى وأدى إلى سقوطه؟

(١) كندوستاد، جيمس، «مشروع درب زبيدة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة»، أطلال ١، (الرياض: إدارة الآثار والمتاحف، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). ص ٦٦؛ ولوحة ٣٤: ٤٤أ.

(٢) كندوستاد، جيمس، «مشروع درب زبيدة، ص ٦٩؛ ولوحة ٤٦، الدايل، خالد؛ الحلوة، صلاح، «مشروع درب زبيدة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى لمسح درب زبيدة»، أطلال ٢، إدارة الآثار والمتاحف، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص٦٠، ٦١.

ولعل السؤال المطروح عن وظيفة هذا البناء هل هو حصن؟ أو حامية عسكرية متقدمة في وادي القرى؟ أو قصر؟ أم محطة بريد؟

ونرجح أن المبني حصن للأسباب التالية:

١- وقوع المبنى عند التقاء وادي المعتدل بوادي القرى، وكذلك بوادي أبو عود.

٢- يشكل المبنى قاعدة عسكرية أو حامية متقدمة بوادي القرى.

٣- وجود المدخل الضيق للمبنى، وكذلك الغرفة المتقدمة (البوابة المنكسرة أو المدخل المنكسر).

ويلحظ أيضاً أن صف المداميك السفلي في واجهة المدخل وطريقة بنائها وأسلوبها مشابهة لطريقة بناء الجدران في المنطقة الأولى (المركز الديني)، مما يثير التساؤل هل المبنى هذا المبنى بناء قديم قدم الموقع نفسه ثم أعيد تأهيله وإضافة أجزاء إليه فيما بعد ليتماشى مع أسلوب العمارة الإسلامية المبكرة، ومنها الأبراج والبوابة ذات العقد المقوس، أم أنه شيد بالكامل في الفترة الإسلامية في مدينة الخريبة (دادان القديمة)؟ وقد ساعد في بنائه وجود حجارة من الموقع القديم أعيد استخدامها في هذا البناء الأحدث نسبياً، وأعتقد أن الأخيرة هي الأقرب إلى الصواب.

****

الأشكـال واللـوحـات

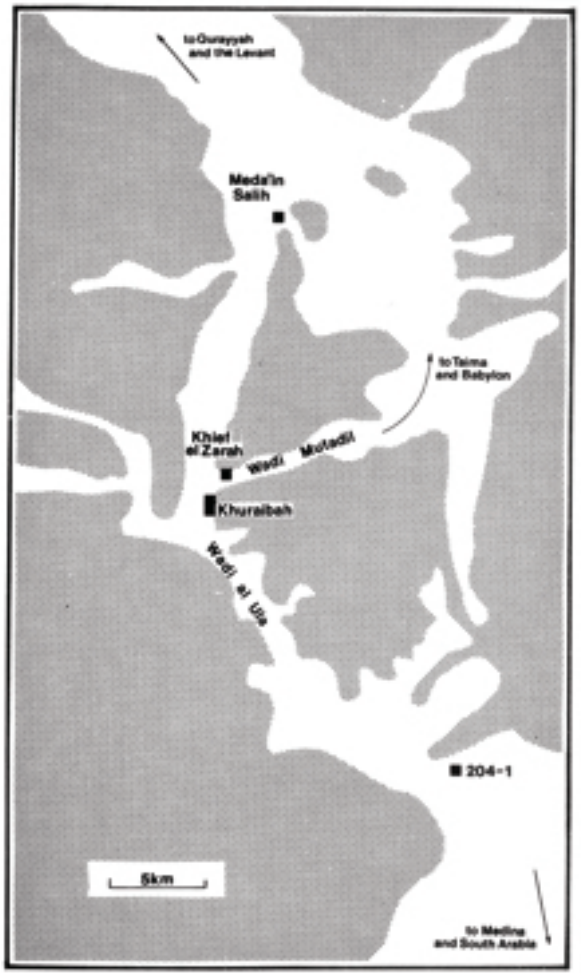

اللوحة (١) - شكل (١): موقع دادان (الخريبة)، بين وادي المعتدل مع وادي العلا.
بودن، جارث، أطلال، ع٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

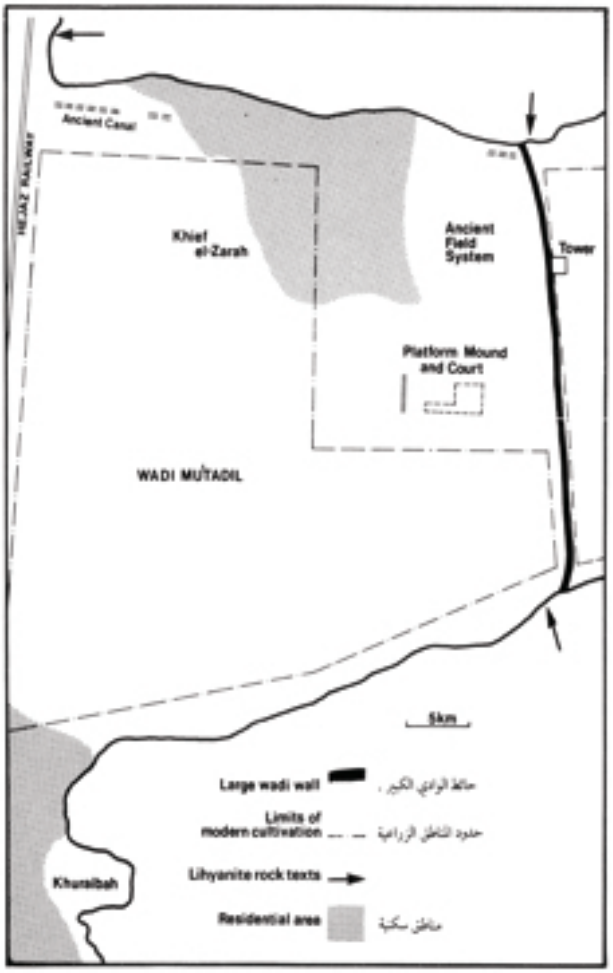

اللوحة (١) - شكل (٢): موقع دادان (الخريبة)، إلى الجنوب من موقع خيف الزهرة.
بودن، جارث، أطلال، ع٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

اللوحة (٢) أ: موقع دادان (الخريبة)
وإلى الشمال موقع الحصن الإسلامي

اللوحة (٢) ب: صورة جوية للحصن الإسلامي
بموقع دادان (الخريبة) قبل التنقيب

اللوحة (٣) أ: مدخل الحصن من الداخل المطل على الساحة.

اللوحة (٣) ب: جدران من الحجر مزدوج لأحد المرافق داخل الحصن.

اللوحة (٤) أ : برج على الضلع الجنوبي بشكل حذوة حصان

اللوحة (٤) ب: توضح ترابط بناء السور مع البرج

اللوحة (٥) أ: الجزء المتبقي من جدران المرافق داخل الحصن

اللوحة (٥) ب: الجزء المتبقي من جدران المرافق داخل الحصن

اللوحة أ: جزء من مبنى الحصن حيث البوابة المدخل المنكسر، ومن الأمام الجلسات (الدكات) على جانبي المدخل.